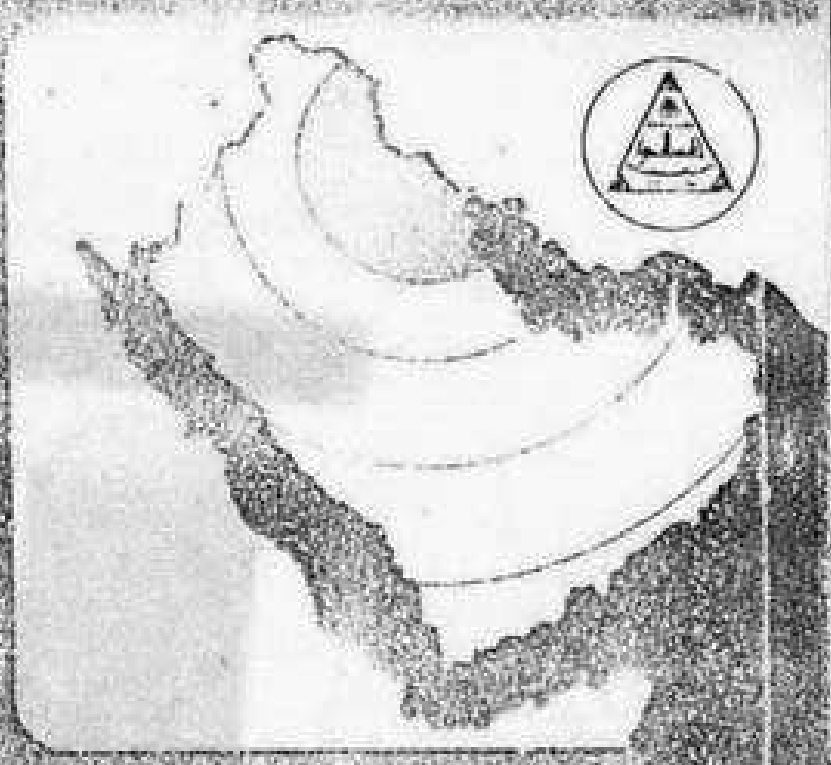


# الخليج العربي



السنة السادسة عشرة

المجلد العشرون

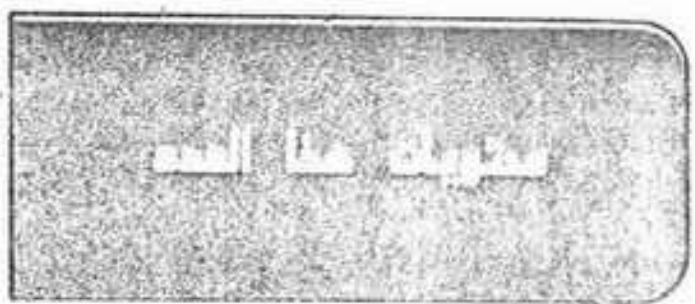
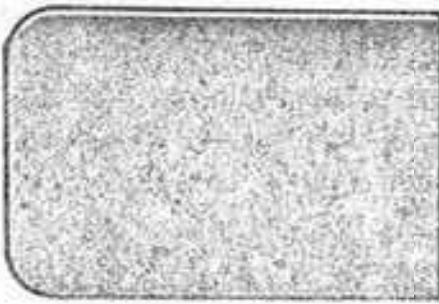
العدد ١

١٩٨٨

## بمقالة عمليّة فصلية تفتي بشؤون الخليج العربي والجزيرة العربيّة

- **أحداث التطور الاقتصادي للخليج العربي (دور الأسرة الصليبية) - الفصل الخامس الثاني ١٦٤٢-١٦٦٦ (المملكة العربية)**  
المستطاب علي محمد
- **البحر العربي للتجارة الانجليزية في دولة الامارات العربية المتحدة**  
الدكتور هاشم محمد صفيح
- **الصراع البريطاني الروسي في فارس ١٨٠٩-١٨٣٩**  
الدكتور محمد صادق العراقي
- **النور السليبي للندو في التاريخ العربي**  
م.م. ف. كاشان
- **تعمير وتخليق الدكتور علي محمد الكريم النور**
- **عجز عوامل الاستقرار الاقتصادية في الاقتصادات الخليجية المعاصرة للقطر**  
تاكيف - ولده - عبد الخالق المنصور
- **تعمير الدكتور محمد سلالة صفيح الانورسي**
- **الجمود رشيد علي الصليبي الى الملك عبد العزيز**  
بين المعرفة العربي والمطووعة
- **التطور في دول الخليج العربي**
- **التعمير كفاءة الاداء ودراسة التطوير الاقتصادي لصحة الخليج النخيل**  
الدكتور حسون محمد علي العبدان والدكتور حسون عبد الرحمن شيبان
- **الندوي من الخليج العربي - ابو الخطاب الاخفش العمري في منهجه النورسي**  
الدكتور علي جابر المنصور

تصدر عن مركز دراسات الخليج العربي عن مؤلفه (العمري) (العمري)



٧	* كلمة العدد
٩	* البحوث
١١	● إحلال النفوذ الاجنبي بالخليج العربي (دور الاسرة الصفوية) الشاه عباس الثاني ١٦٤٢ - ١٦٦٦ (الحلقة الرابعة) الاستاذ علي غنام
٣١	● البعد السياسي للتجربة الاتحادية في دولة الامارات العربية المتحدة الدكتور غانم محمد صالح
٥٢	● الصراع البريطاني الروسي في فارس ١٨٠٩ - ١٨٣٩ الدكتور محمد عبدالله العزاوي
٧١	● الدور السياسي للبدو في التاريخ العربي بقلم : ف. كاسكل
٩٩	● تعريب وتعليق : الدكتور منذر عبدالكريم البكر عجز عوامل الاستقرار الضمنية في الاقتصادات الخليجية المصدرة للنفط . تأليف : وليد عبد الخالق التميمي
١٠٥	● تعريب : الدكتور عبدالسلام ياسين الادريسي لجوء رشيد عالي الكيلاني الى الملك عبد العزيز بين العرف العربي والدبلوماسية الدكتور فاروق صالح العمر
١٢٣	● تقييم كفاءة الاداء ودراسة الجدوى الاقتصادية لمكننة تلقيح النخيل الدكتور حسون محمد علي الحداد والدكتور حسن عبدالرحمن شبانه
١٥١	● لغوي من الخليج العربي - ابو الخطاب الاخفش الكبير (عبدالحميد بن عبدالمجيد ١٧٧ هـ) في منهجه اللغوي الدكتور علي جابر المنصوري
١٩٠	* شخصية العدد
	* التقارير العلمية
٢٠٣	● تاريخ جزيرة صيرة باليمن الديمقراطية احمد صالح رابضة



## تاريخ جزيرة صيرة

صيرة لغويا:

الملاحظ ان المصادر التي وقفنا عليها على شحة مادتها تشير وباختصار الى تاريخ الجزيرة بصفة عامة باستثناء المصادر الاوربية، ولكنها على اية حال تنقل نتفا حرية بالدرس على الرغم من اتفاقها في النقل الصريح من بعضها البعض. وقد استعنا بمعجمات اللغة في تعريف التسمية (صيرة) التي اطلقت على الجزيرة كلها بما في ذلك القلعة القديمة المدرسة، والتي اختلف الباحثون المحليون في تعريفها، فقد ذكر صاحب تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية<sup>(١)</sup> - وله قصب سبق في تناول هذه الموضوعات - ثلاثة حلول للتسمية: اولها: ان المستعمرين البرتغاليين اطلقوا اسم سيرا ومعناها جبل على هذه البقعة. وثانيهما: ان الهنود كانوا يسمون عدن سيران ولعلها اشارة الى اسطورة رأس الجنى راون الذي يسكن السلسلة الجبلية الممتدة من جبل الخضراء (البنديرة) الى جبل التعكر (حديد)<sup>(٢)</sup>.

(١) حرة لقمان ص ٢٧٩ .

(٢) انظر تفصيل ذلك في تاريخ المستعمر لابن الجاور ص ١١٠ .

وثالثهما: ان صيرة في العربية تعني السمك الصغير او السردين او الشقوق والكهوف.

ويعقب الباحث على ذلك بقوله: ان بحر صيرة مليء (بالعيذة) وبالشقوق والكهوف أيضا، ثم يخلص الى القول ان هذا هو الحل الصحيح للتسمية. ويبدو أنه التبس عليه الامر فانتزع لفظة صيرة من المعجمات واطلفها دون روية وامعان على نوع من السمك يوجد في سواحلنا نسميه العيذة او العيد ومن موطنه ساحل الشحر، وقد اكد لي بعض الصيادين الماهرين ان نوعا اخر من السمك نسميه (اللية) هو كثير الشبه بالعيذة يتشتر في جزيرة صيرة ولكنه اصغر حجما من العيذة.

وعندما رجعنا الى هذه المعجمات العامة والمتخصصة تبين لنا ان لفظة صير بالمعنى الذي وقف عليه الباحث تعني أولا: الصحناة او الصحناة، وقد اطلقها احمد تيمزر وحده<sup>(٣)</sup> على السمك المملح المألوف بالسردين وليس على السمك في حالته الطبيعية.

ثانيا: ان الصير بمعنى الشق لانطلقتها على الشقوق والكهوف البحرية فيما نعلم، فقد ورد في الحديث النبوي انه «من نظر في صير باب وثقت عينه فهي هدر»<sup>(٤)</sup> ووردت بهذا المعنى في كل المعجمات بيد انه يجدر بنا ان نشير الى لغتان اخرى للتسمية وردت في معاجم مختلفة هي اقرب الى الصحة فيما نظن فمثلا ذكر ياقوت في معجمه<sup>(٥)</sup> ان صيرة بالكسر هي حظيرة تعمل للغنم من حجارة وقد تبني من خشب او اغصان كما يقول احمد رضا<sup>(٦)</sup>، والمعروف فيها بذكر المؤرخون ان اهل عدن كانوا يأخذون في القرون الماضية سبعة ثيران ويذهبون بها الى جبل صيرة حيث تبقى هناك حتى مطلع الفجر فيذهبون واحدا منها على سبيل التضحية، فلعلهم كانوا يهظون هذه الثيران في حظيرة يطلقون عليها صيرة، ويسمى المؤرخ ابن المجاور هذه العادة ضحية الجبل<sup>(٧)</sup> ويقول: انهم يقدمون ذلك قربانا للأرواح

(٣) انظر من اللغة احد رضا ٥١٣/٣ .

(٤) انظر معجم البلدان ٤٣٨/٣ .

(٥) انظر من اللغة ٥١٣/٣ وختار الصحاح للرازي ص ٣٧٥ .

(٦) معجم البلدان ٤٣٨/٣ وذكر عادة آخر من الصير منها : جبل باجا في ديار ملي ، فيه كهوف شبه البيوت ، وجبل آخر على الساحل بين سيراف وعمان .

(٧) من اللغة ٥١٤/٣ .

(٨) تاريخ المستنصر ص ١١٤ .

الشريرة التي تعيث على حد زعمهم بامواج البحر وتغرق سفن السفن، والحقيقة ان الرياح الموسمية التي تهب في موسم الشتاء هي التي تعيث على تعثر السفن في شواطئ صيرة.

ويذكر صديقنا الفاضل الاستاذ المؤرخ البحري حسن صالح شهاب ان ثمة مواضع وجزر تسمى بالصير، منها: صير ابو نعير وهي جزيرة بين دبي وجزيرة داس، وصير بني ياس وهي قريبة من ساحل ابو ظبي، وصيروت وهي بندر على ساحل ايران<sup>(٩)</sup> ويعلل التسمية تعليلا اقرب الى الصواب، اذ يقول: ان لفظ صيرة مصطلح بحري للصحرة، فالبحارة حينما يرسون في مرسى فيه صحرة أو جبل يقولون (هذا مرسى فيه صيرة) وصارة الجبل عند البكري<sup>(١٠)</sup>، رأسه ونحن نميل الى الاخذ بهذا التعليل لكثرة ورود مثل هذه المصطلحات في المصنفات البحرية واختلافها في المعجمات، ويعزو احمد رضا اصول هذه اللفظة في معنى من معانيها الى عاد وارم<sup>(١١)</sup>، وهذا ما يؤكد جذورها في اللهجات اليمانية القديمة المنتشرة، الا انه يعوزنا الدليل العلمي الصريح في هذا الصدد.

### جزيرة صيرة والميناء القديم:

ان هذا الاستنتاج الذي توصلنا اليه من خلال دراسة اللفظة (صيرة) يؤكد مما لا يدعوا مجالاً للشك ان البحارة الاقدمين كانوا يطلقون التسمية على المراسي الجبلية، أو بالأحرى المراسي التي تقف على سفحها التلال أو الجبال الصغيرة أو ما يسميها الثعاليبي المتوفى سنة ١٢٩ هـ (الضلع) أو (القرن)<sup>(١٢)</sup>، وفي جزيرة صيرة الواقعة في الخليج الامامي، بمدينة خلدن يقع احد هذه المراسي القديمة مترسداً ضفاف البحر، ويقف على عتبه جبل شامخ هو المعروف بجبل صيرة.

ويبدو واضحاً ان هذا الموضع يعد من اهم المنافذ التي تفضي الى قلب المدينة - ان لم يكن الوحيد - وتحتفظ مياهه بثروات معدنية منها معادن اللؤلؤ كما يقول الكرخي<sup>(١٣)</sup> المتوفى في اواخر القرن الرابع، وقد شهيد هذا الموضع معارك دامية

(٩) طرق الملاحة التقليدية في الخليج العربي ص ٩٢.

(١٠) معجم ما استعجم ٣/٨٤٦.

(١١) متن اللغة ٣/٥١٤.

(١٢) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٩٤.

(١٣) المسالك والممالك للكرخي المتوفى في النصف الاول من القرن الرابع الهجري.

خاصها البيانيون ضد كل انواع القرصنة بدءا بحروب ارباط مع ذي نواس الحميري على ما يذكر الدينوري المتوفى سنة ٢٨٢هـ. (١١) وانتهاءً بالمستعمرين البريطانيين بقيادة الفرسان هينس.

وكان مرفأً تجاريا مهما يستقبل السفن الهندية من مختلف المقاطعات (١٢) والسفن الصينية والفارسية (١٣) والعمانية والمصرية (١٤) والحجازية والحبشية (١٥)، وكانت تستودع فيه مختلف المنتجات العالمية التي تنقل بعد ذلك الى مرفأء اخرى على سفن صغيرة تمخر عباب مضيق باب المندب (١٦)، ويقدر ابن المجاور عدد السفن التي ترسو في الميناء بشانين او سبعين سفينة كل عام (١٧)، ويصف نشاطه التجاري فيقول: **والفرصة كالمحشر فيه المناقشة والمحاسبة والوزن والعدد** (١٨).

### نظام مراقبة السفن:

وقد استحدث في هذه الحقبة نظام مراقبة السفن القادمة الى الميناء وهو نظام جد بدائي، نستطيع ان نطلق عليه الفئار البدائي، يقوم به عدد من الحراس، يقفون على قمتي جبل المنظر والخضراء ويراقبون قدوم السفن، وهم يتمكنون بحكم الخبرة

- (١٤) الاخبار الطوال لابي حنيفة الدينوري ص ٦٢، ويذكر ابن المجاور ص ١١٦ قوما يملكو عدن بسميهم (اهل القمر) ويقول انهم اخرجوا الصيادين من الجزيرة وسكنوا قمة الجبل الاحمر وهو كما يبدو الجبل الذي بجاذي (المس او شمسان، كما سكنوا حفات وجبل المنظر وهم فيها آثار، ويذكر في موضع آخر ص ١٢٤ - ١٢٦ قوما آخرين بسميهم (الجاشو) وملكهم ملك جزيرة قيس دوانيج وهاجوا عدن في عهد بني زريع وقد احتال عليهم آل زريع وقتكوا بهم في موضع يطلق عليه (الجماجم) ومن المحتمل ان يكون على مقربة من صبرة.
- (١٥) معجم البلدان ٨٩/٤ - ٩٠، ورحلة ابن بطوطة ص ٢٥١، واختيار الدول واثار الاول للفرماني ص ٣٦٤، والمفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي ٢٧٣/٧ - ٢٧٤.

- (١٦) انظر نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشيخ الربوة المتوفى سنة ٧٢٧هـ ص ٢١٦.
- (١٧) انظر تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي في ضوء النمط الاسيوي للانتاج، احمد صادق سعد، ص ٢٩١.
- (١٨) مرصد الاطلاع البغدادي ٩١٣/٢.
- (١٩) انظر ايضا تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي ص ٢٩١.
- (٢٠) تاريخ المستنصر ص ١٤٤، وانظر ايضا اكتشاف جزيرة العرب جاكولين بيرن، ص ٤٨ - ٥٨، ويرى الامتاذ الباحث حسن صالح شهاب ان المراد بالعام هنا: الموسم.
- (٢١) تاريخ المستنصر ص ١٢٨.

والممارسة من مشاهدة السفن عن طريق عصا يركزونها على قمة الجبل وينظرون من طرفها الاعلى الى الشبيء المنظور، فاذا كانت حركته في جهات عدة تبين لهم انه مجرد طائر، اما اذا كانت الحركة بطيئة فيتيقنوا انها حركة سفينة قادمة الى المرسى فيصرخ الحارس هيربا، ويرددها الاخر وهكذا دواليك حتى يسمع الحارس الذي يقف على مقربة من الفرضة فيذهب الى الوالي يخبره بقدم سفينة<sup>(٢٢)</sup>، ثم يأتي الوالي والمفتشون يسألون عن نوع البضائع وعدد الركاب والبحارة والجهة التي قدمت منها السفينة (وربما انتزعوا اشعرتها ليتأكدوا من انها لن ترحل قبل تأدية الضريبة) كما تقول جاكلين بيرن<sup>(٢٣)</sup>.

### نظام التفتيش:

كما استحدثت نظامان اخران، احدهما نظام تفتيش الركاب والبضائع، والآخر نظام الضرائب او العشور، ولعل كليهما استحدثتا في عصر بني زريع. وهناك موظفان اثنان يقومان بتفتيش الركاب، احدهما رجل يفتش كل اجزاء الجسم بما في ذلك أليتي الرجل، وامرأة عجوز تفتش النساء (وتضرب بيدها في اعجازهن وفروجهن) على رواية ابن المجاور<sup>(٢٤)</sup>، اما البضائع والاقمشة فنظف في الفرضة ثلاثة أيام تتعرض لتفتيش دقيق ثم تدفع الى اصحابها بعد اخذ العشور.

### نظام الضرائب والعشور:

اما بالنسبة الى نظام الضرائب والعشور فقد استجد في عصر بني زريع وكان يتأرجح من حيث تحديد الضريبة بين الارتفاع والانخفاض والاضطراب والشذوذ في بعض الاحيان، فقد تفرض ضرائب باهظة على بضائع معينة كالعود<sup>(٢٥)</sup> والكافور

(٢٢) المصدر نفسه ص ١٣٨، انظر ايضا لقمان، تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ص ٢٩٢-٢٩٤.

(٢٣) اكتشاف جزيرة العرب ص ٤٨، وتاريخ عدن ص ٢٩٤ - ٢٩٥.

(٢٤) ابن المجاور، تاريخ المستبصر ص ١٣٩.

(٢٥) ذكر ابن المجاور ان ادارة الضرائب الجمركية صادرت كمية من العود الرديء كما يبدو على الناحية عثمان بن عمر الأمدي قدر ثمنه بستة دنانير وفرضت عليه ضريبة قدرها خمسة عشر ديناراً. تاريخ المستبصر ص ١٤٤ ولقمان ص ٢٩٩.

اذ يدفع التاجر على الفراسلة<sup>(٢٦)</sup> الواحدة من الكافور خمسة وعشرين ديناراً، وعلى بهار<sup>(٢٧)</sup> الطباشير (الكريستال) واحداً وعشرين ديناراً، وعلى بهار الفلفل ثمانية دنانير، وديناراً ضريبة جمركية على السفينة ودينارين آخرين عند خروجه على الفرضة<sup>(٢٨)</sup> وتعفى بضائع اخرى من الضريبة كالحنطة والدقيق والسكر والارز والصابون وزيت الزيتون والعسل والنبوس والماعز<sup>(٢٩)</sup> والسماك المملح ان كان بلا رأس<sup>(٣٠)</sup>، وهذه البضائع جميعها هي القادمة من مصر والهند كما يقول ابن المجاور<sup>(٣١)</sup>.

والطريف في الامر ان الضرائب لا تفرض على الجوارى الحسان والعبيد الغلمان اذا كانت اعينهم واسعة<sup>(٣٢)</sup>، وقد يحدث هذا كله في حضور حاكم المدينة والولاية، اذ يذكر ابن المجاور<sup>(٣٣)</sup> ان حاكم عدن عمران بن محمد بن سبأ كان يجضر في الميناء أثناء العثور.

والجدير بالذكر ان يهوديا اسمه خلف النهاوندي هو الذي حدد هذه الضرائب وقدمها مقترحاً للدولة الزيرية التي وضعتها قيد التنفيذ مباشرة<sup>(٣٤)</sup>، والمعروف ان اليهود ذوو خبرة واسعة في هذا المجال وكانوا ينتشرون في مدينة عدن ولهم احياء خاصة<sup>(٣٥)</sup>.

وقد لاحظ الرحالة الاوربيون الاقدمون والمحدثون هذا النشاط الكبير للمرفأ ومنهم من قدم الى عدن للتجنس فقط على احوالها الاقتصادية والسياسية، والتحقق من امكانية الوصول الى مرافئها والعبور عبر مضائقها بحثا عن مناطق نفوذ اكبر في العالم، اذ اشارت جياكلين بيرن الى واحد من هؤلاء القراصنة هو (بلرودي كوفيلها) الذي بعث المستعمرون البرتغاليون الى شبه الجزيرة العربية عام ١٤٨٧م،

(٢٦) الفراسلة: هي وحدة وزن تساوي عشرة امانان، وتسايوي عشرين رطلا. ابن المجاور. المستبصر ص ١٤٠.

(٢٧) قيل ان البهار يسايوي حمولة جبل وانه يتراوح بين ٣٠ و٤٠ و٦٠ رطل، انظر تاريخ عدن ص ٢٠٠.

(٢٨) ابن المجاور. المستبصر ص ١٤٠.

(٢٩) المستبصر ص ١٤٢ - ١٤٣.

(٣٠) ابن المجاور ص ١٤٣.

(٣١) المصدر نفسه ص ١٤٢ - ١٤٣.

(٣٢) انظر تاريخ عدن ص ٢٩٩.

(٣٣) تاريخ المستبصر ص ١٤٣.

(٣٤) المصدر نفسه ص ١٤٠.

(٣٥) انظر تاريخ باقمية الشحري (مخطوط) ورقة ٥٠ (اقدم الآن بدراسته وتحقيقه).



وقدم الى عدن في العام نفسه ووصف مرفأها و«بقا دقيقا»<sup>(٣٦)</sup>، وسبقه بزمن طويل الرحالة الايطالي ماركوبولو وسجل ملاحظاته التي لم نقف عليها<sup>(٣٧)</sup>. ويبدو من كلام ابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م ان اهالي عدن الموسرين كانوا يمتلكون بعض المراكب العظيمة الراسية في الميناء والتي تدر عليهم أرباحا طائلة<sup>(٣٨)</sup>.

## نظام حماية السفن:

واستحدث في العصر الايوبي نظام هو اثنيه بانظمة حماية السفن في عرض البحر ولكن مقابل ضريبة يدفعها ملاك السفن ارتفعت افقيا بعد سنة ثلاث عشر وستائة<sup>(٣٩)</sup>، ولعل السبب في ارتفاعها يكمن في ضعف السياسة الاقتصادية في البلاد في عهد الايوبيين ورغبتهم المتزايدة في استغلال خيرات اليمن، وذلك بواسطة القوانين التي فرضوها على الاهالي وملاك السفن، ذكر ابن جبير في رحلته ان عثمان الزنجيلي والي عدن من قبل الايوبيين نهب اموالا وذخائر ونفائس عظيمة من عدن وفر الى مصر، ووصفه بسوء السير مع التجار والاهالي اذ «كانت المنافع التجارية كلها راجعة اليه والذخائر الهندية المجلوبة كلها واصلة الى يديه فاكتسب سحناً عظيماً وحصل على كنوز قارونية» على حد تعبيره<sup>(٤٠)</sup>، وقد تمكنت سفن الحراسة الليلية من تعقبه ومصادرة بعض هذه الاموال. والملاحظ ان الجزيرة كانت خالية قبل هذا الاجراء من سفن الحراس الليلية في العصر الزريعي، وربما كانت غير محصنة ومسورة، اذ يورد ابن المجاور قصة المركب المغربي الذي ارسي في الميناء وتوجه صاحبه خفية الى بيت الداعي، ولعله عمران او محمد بن سبأ دون علم بهما، وانحفي بضاعته في منزل احدهما، والظاهر ان هذا المنزل كان على مقربة من المرسى او على جبل المنظر، ثم لما اسفر الصبح تاكد التاجر انه في منزل الوالي، وعفا عنه الراي كما يذكر ابن المجاور، ولكنه انتبه لهذا الامر بتشديد اول سور لمدينة عدن يمتد من الجبل الاخضر الى جبل حقات، وقد تهدم هذا السور لضعفه فابتنى آخر

(٣٦) انظر اكتشاف جزيرة العرب ص ٤٨.

(٣٧) انظر اليمن الجنوبي محمد عمر الحبشي ص ٦.

(٣٨) رحلة ابن بطوطة ص ٢٥١ - ٢٥٢.

(٣٩) ابن المجاور، المستنصر ١٤١ - ١٤٢.

(٤٠) رحلة ابن جبير المتوفى سنة ٦١٤هـ ص ١٤٨ - ١٤٩، وذكر ايضا ابن المجاور، المستنصر

ص ١٤٧ ما فعله علي بن عمر بن رسول لما دخل عدن ووصف تلك الايام بقوله: «وكانت الايام شبه ايام المحشر كل منهم محشر بنادي ابن المقر».

ظل الى عهد عثمان الزنجيلي سالف الذكر الذي قام هو الاخر بتجديده، ويبدو ان حصن المدينة تحصينا قويا<sup>(١١)</sup>، فعندما زارها الجاسوس البرتغالي دي فارتياها حوالي سنة ١٥٠٣م أدهشته تحصيناتها القوية واسوارها الممتدة على السلسلة الجبلية المحاطة بها<sup>(١٢)</sup> ويبدو أنه لولا هذه التحصينات فضلاً عن القدرة القتالية لدى المدافعين البيانيين لاستطاع الفونسودي البورك من الاستيلاء عليها<sup>(١٣)</sup>.

## قلعة صيرة

وتقف على عتبات الجزيرة (صخرة) عملاقة قبالة جبل المنظر<sup>(١٤)</sup> هي ما نطلق عليها اليوم جبل صيرة<sup>(١٥)</sup> وعلى ذروتها قلعة قديمة ترجع في تقديرات العالم السوفيتي سيرجي شيرنسكي الى القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، غير انها مغطاة اليوم بتشييدات لاحقة كما اشار الخبير في تقريره العلمي المقدم الى المركز اليمني للأبحاث الثقافية<sup>(١٦)</sup>.

والجدير بالذكر ان شيرنسكي قام بمسح ميداني للموقع والمخ الى امكانية دراسة تكوينه العمراني وسبر أغواره، واكد ان الموقع كان مأوى طيباً للناس وحماية للميناء من قراصنة البحار والغزو الخارجي<sup>(١٧)</sup> ولم يأت بتفصيلات اخرى تتعلق بالتشييدات القديمة للقلعة المنتشرة، والحقبة الزمنية للتشييدات المستحدثة التي نراها اليوم، وقمت في السادس والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٩٨٤م بزيارة لمعاينة الموقع عن كثب برفقة صديقنا الفاضل الاستاذ يوسف حسن السعيدني تبين لي من خلالها ان بناتها اختاروا لها موقعا استراتيجيا مهما على ذروة الجبل، يدل على قدرات اسلافنا البيانيين الفائقة وقوة شكيمتهم، وتضحياتهم في سبيل الذود عن الارض الطيبة وشاهدت مدافع كادت عوامل التعرية ان تظمرها، وهي تدل على ان القلعة

(١١) انظر تاريخ المستبصر ص ١٢٧ - ١٢٨ وبمخرمة ١٣/١ - ١٤، غير انه يقول: (وصل مركب من المغرب اي جهة هرموز لقلعه تصحيف (مغرب).

(١٢) اكتشاف جزيرة العرب ص ٤٨.

(١٣) المصدر نفسه ص ٥٨.

(١٤) ابن الجاور، المستبصر ص ١١١.

(١٥) هي في الحقيقة جبل او قرن، على حد تعبير علماء فقه اللغة العربية، انظر الثعالبي ص ٢٩٤.

(١٦) أضواء على الآثار اليمنية ص ١٧.

(١٧) المصدر نفسه ص ١٧.

شهدت معارك حاسمة ضد الغزاة والقراصنة، وتعرضت غير مرة للتدمير، وقامت حكومات عدن في العصور الوسطى بترميمها وإعادة بنائها، ويبدو انها لم تدمر بعد ذلك وان زعمت بعض المصادر البريطانية ان السفن البريطانية التي هاجمت مدينة عدن دمرت القلعة بما فيها من المدافع<sup>(٤٨)</sup>.

وعلى مسافة قصيرة تقوم اطلال مبنى شبيه بالثكنة العسكرية بجنّض مدافع مطمورة ويفضي الى واد أو مسيال صغير لعل لعوامل التعرية والسيول بدأ في شقه، فمن المحتمل ان يكون هو هدف السفن البريطانية، واذا ما صحت مزاعم هارولدف في هذا الصدد فمن المستبعد ان تعيد السلطات البريطانية بناء القلعة وبالطرائق القديمة في البناء، اما الحصن الصغير الذي يقف على مقربة من القلعة والذي نشاهده من اي موضع فسيح في المدينة، فقد شيده المستعمرون البريطانيون في وقت متأخر في اغلب الظن، وهو يختلف اختلافا بينا من حيث بنائه عن القلعة.

وتعوزنا الادلة في تحديد زمن بناء القلعة والحكومة أو الجهة التي مولت العمل، اذ لم تسعفنا المصادر على قائلها بذلك، ولكنها أشارت الى حصون مختلفة بنيت في هذا الموضع ومواضع اخرى من الجزيرة لعل من المفيد الاشارة اليها، فقد ذكرت هذه المصادر ان آل زريع حكام عدن في الحقبة ما بين ٤٧٦ - ٥٦٩ هـ / ١٠٨٣ - ١١٧٣ م هم اول من بنى الدور الحجر الذي كانت مواده تجلب من إيبين وشيدوا بعض اسوار مدينة عدن، وليس من المستبعد ان تكون لهم يد في بناء القلعة، ولكن هذه الروايات تؤكد من ناحية اخرى أن بيوت عدن في تلك الحقبة كانت مبنية من الخوص والقصب حتى ان اسوار المدينة نفسها لم تكن في عهدهم الا من هذه المواد، ولهذا سرعان ما تهدمت<sup>(٤٩)</sup>، ثم جاء الايوبيون ٥٦٩ - ٦٢٦ هـ / ١١٧٣ - ١٢٢٩ م وجددوا الاسوار واحكموا تحصينات المدينة، فلعلهم بنوا القلعة او جددوها، وتزعم رواية اخرى ان الاقدمين بنوا (شصنة) خلف مرمى المراكب من جهة البحر<sup>(٥٠)</sup> هدمت في عصر بني طاهر ٨٥٨ - ٩٣٣ هـ / ١٤٥٤ - ١٥٢٦ م وبني عوضا عنها (دار البندر)، ثم هدمت هذه الدار أيضا سنة ٩١٩ هـ وبني بدلا عنها الحصن الذي يقع في طرف جبل صبرة<sup>(٥١)</sup>، فلعل دي فارنيها سالف الذكر

(٤٨) ملوك شبه الجزيرة العربية هارولدف بعقوب ص ٣٧.

(٤٩) باخرمة، تاريخ نجر عدن ١/٢، ٩/١٥١.

(٥٠) المصدر نفسه ١/١٥١.

(٥١) نفسه ١/١٦٠.

شاهد هذا الحصن اثناء زيارته لعدن عام ١٥٠٣م، ولم يشر المقدسي الى هذه المواضع ولا الى القلعة وان ذكر الموضع الذي تخرج منه النار، والتبادر انه استقى هذه المعلومة من مصنفات المؤرخين اليمانيين. كما بنيت حصون اخرى على الجبال بناها قوم يطلق عليهم ابن المجاور (اهل القمر)<sup>(٥٢)</sup>، ويضيف ان بناءهم باق بالحجر والجص ملء تلك الاودية والجبال<sup>(٥٣)</sup>.

وجملة القول ان هذه المصادر التي وقفنا عليها لم تفصح عن زمن بناء القلعة والتشييدات الاخرى المستحدثة عليها وان كنا نرجح ترجيحاً لانقيم عليه برهاناً ولاذليلاً قاطعاً ان القلعة القديمة ترجع الى تشييدات القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، اي أننا نضعها ضمن مآثر الايوبيين في اليمن، أما القلعة الحديثة أو بالأحرى التشييدات المضافة اليها فقد بنيت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين.

وكيفما كان الحال فقد دعا بعض الخبراء الاختصاصيين الذين زاروا الموقع الى ضرورة اجراء الحفريات الاركيولوجية فيه، سعياً وراء معرفة الزمن التاريخي الدقيق للتشييدات القديمة التي طرأت عليها تغييرات شاملة، وهي الوسيلة الوحيدة فيما نعلم التي سوف تعطينا دليلاً قاطعاً نعول عليه في تحديد هذه الحقبة الزمنية تحديداً لا يتسرب اليه الشك بته.

#### القلعة بين المنولوجيا والاعخباريات المروية :

والواقع أن تاريخ القلعة مشوب بالاسطورة الوافدة من الخارج هندية كانت تلك الاسطورة ام مسيحية، ولعل هذا التعميم الذي لمسناه في سياق الروايات المختلفة التي ساقها مؤرخو القلعة يعود في تقديرنا الى عبث الاسطورة. ومما لاشك فيه ان الصبغة الاسطورية وصلت اليها من خلال احتكاكنا المباشر بالحضارات المختلفة وعلى الاخص الحضارة الهندية التي تغلب الاسطورة على نماذجها الحضارية، وقد المحنا الى ذلك تلميحاً في معرض حديثنا عن ميناء عدن القديم حيث قلنا اجمالاً: إن الميناء كان مرسىً - منذ زمن بعيد - للسفن القادمة من كل المقاطعات والاصقاع الهندية<sup>(٥٤)</sup> وبديهي ان نتأثر بهذه النماذج الحضارية الوافدة ذات الانماط المختلفة، وقد امتد هذا التأثير الى حياتنا المعاصرة، ولكن في اشكال ومظاهر اخرى، منها ما يتعلق بالفن

(٥٢) انظر اكتشاف جزيرة العرب ص ٤٨.

(٥٣) لعلهم من جزر القمر التي سكنها المهاجرون اليمانيون منذ زمن بعيد.

(٥٤) ابن المجاور ص ١١٦.

(٥٥) انظر رحلة ابن بطوطة ٢٥١-٢٥٢.

ومنها ما يتعلق بالظواهر اللغوية التي تكاد اليوم تنمحي وتلاشي<sup>(٥٦)</sup>.  
ومهما يك من شيء فقد غدت صيرة امرتعا خصبا ومأوى حسنا للأساطير  
على مختلف أشكالها هندية واسلامية ومسيحية، وعزا بعض الباحثين ذلك الى ان  
مدينة عدن كانت في الازمنة القديمة تتكون من اخدود بركاني هائل ألفت حوله هذه  
الاساطير<sup>(٥٧)</sup>، بيد ان الاسطورة الهندية على وجه الخصوص حظيت بأهمية خاصة لدى  
مؤرخي القلعة حيث حملت الينا على بساطها الجني ذا الرؤوس العشرة، والغزال  
درسير الذي وفد على جبل المنظر<sup>(٥٨)</sup>، وأحسن المنظر وفادته، وهنومت<sup>(٥٩)</sup> او هانومان  
الاله القرد<sup>(٦٠)</sup> الذي حفر سربا في ليلة واحدة من الهند الى جبل صيرة، وأعاد زوجة  
رام جندر سبت الى مدينة اوجين بكرمي بالهند وسلمها الى زوجها قبل انبلاج الفجر  
الصادق على حد تعبير ابن المجاور<sup>(٦١)</sup>، وهي فيما يظهر امرأة حسناء شغف بها حبا  
عفريت آخر واختطفها وسار بها الى جبل صيرة، ولحق به هنومت. وقد استحال هذا  
السرب الذي حفر في ليلة واحدة الى بئر مرعبة ذات نيران متوهجة، يطلق عليها  
المؤرخون تارة (انبار) أو (في بر) عند حكماء الهند، وتارة اخرى (بئر الهرامسة) وهي  
فيما يروي الحديث النبوي انه يخرج منها يوم القيامة نار تسوق الخلق الى المحشر<sup>(٦٢)</sup>،  
وتناثرت حولها الحجارة المكسرات والافاعي النائمات والحيات القائمات كما يقول ابن  
المجاور<sup>(٦٣)</sup>، ويروى - والعهد على الراوي - ان العلامة ابن كبن<sup>(٦٤)</sup> زارها وادلى بحبل  
الى قعرها ثم رفعه فاذا بطرفه محروق، وظلت النيران متوهجة في هذا البئر حتى

- (٥٦) الجدير بالملاحظة ان آل طاهر ٨٥٨-٩٣٣هـ فيها يذكر المؤرخون حصنوا مدينة عدن وجددوا  
اسوارها، وليس من المستبعد ان تكون لهم يد في بناء القلعة والقلاع الاخرى المتناثرة على  
جبل العر والتي بوضوحها الرسم البرتغالي للمدينة عام ١٥١٢م.
- (٥٧) حمزة لقمان ص ١٨ (اساطير من تاريخ اليمن).
- (٥٨) ابن المجاور تاريخ المستبصر ص ١١٠.
- (٥٩) نفسه ص ١١١.
- (٦٠) تاريخ عدن ص ٢٧٨ - ٢٧٩.
- (٦١) ابن المجاور. تاريخ المستبصر ص ١١٢.
- (٦٢) تاريخ المستبصر ١١١، باخرمة، تاريخ ثغر عدن ١٧/١، لقمان، تاريخ عدن ص ٢٧٧،  
اساطير من تاريخ اليمن ص ١٨، وملوك شبه الجزيرة العربية ص ٣٦٢.
- (٦٣) تاريخ المستبصر ص ١١١.
- (٦٤) والرواية ينقلها عن طريق السماع، والعلامة ابن كبن هو محمد بن سعيد بن علي بن كبن من  
علماء عدن الثقات، توفي في سنة اثنتين واربعين وثمانمائة، انظر ترجمته في طبقات صلحاء  
اليمن للبرهبي تحقيق الحبشي ص ٣٣٠، وباخرمة ٢/ ٢٥٦ واساطير ص ١٨ وتفصيل  
الاسطورة المسيحية في (اساطير) ص ١٨ وتاريخ عدن ص ٢٧٨-٢٧٩.

اطفاؤها القديس (بارثلوميوس) حسب ما تروي الاسطورة المسيحية .  
والجدير بالاشارة الى ان رواة هذه الاسطورة يختلفون في موضع البئر، فمن قائل  
أنها على ذروة جبل صيرة، ومن قائل إنها في حارة الزعفران بعدن ، بيد أن هذه البئر  
الاخيرة تمتاز بعدوية مياهها حتى أن اهل عدن كانوا يصنعون منه النبيذ الجيد<sup>(٦٥)</sup> . وكما  
تختلف الآراء في هذا الصدد فهي أيضا تتناقض تناقضا ملحوظا، إذ يزعم الرواة أن  
البئرين معا يستخدمان للشرب على الرغم من وهيجهما<sup>(٦٦)</sup> .  
أما الاسطورة الاسلامية فقد اوفدت قبائل واقليمه الى جبل حديد فارين من ابئهما  
آدم حيث دفنا هناك هابيل، ثم اغراهما الشيطان بعبادة النار وابتنى لهما معبدا في ذروة  
الجبل (٦٧) وما لبث ان داهم سليمان هذه السلسلة الجبلية واخرج ساكنيها من الجن  
والعفاريت الى غير رجعة .

#### اعتقادات قديمة حول القلعة :

وعلقت في الاذهان اعتقادات اخرى هي امتداد طبيعي للاساطير، من ذلك (عادة  
النشوح) او (ضحية الجبل) إذ يصعد القوم بسبعة ثيران الى القلعة ويربطون واحدا  
منها وتبقى حتى منتصف الليل، ثم ترد الى المدينة، وعند انبلاج الفجر يعود القوم  
ادراجهم ويذبحون الثور المربوط ويقذفون باشلائه حول القلعة اعتقادا منهم بان  
السفن التي تعرقل سيرها في عرض البحر بسبب الرياح الموسمية سوف تمخر العباب  
وظلت هذه العادة حتى عصر بني زريع فأبطلوها<sup>(٦٨)</sup>، وهي تذكرنا بمثيلات لها في  
العالم، ففي مصر القديمة كان الاهالي يقدمون الفتيات الحسان الابكار قربانا للنيل  
عند فيضانه، وفي الهند ينذر المزارعون للمعبود الصنم دم واحد من المواطنين السذج  
يرشون به اصول قصب السكر اذا جاء المحصول جيدا ووفيرا<sup>(٦٩)</sup> .

#### صفحة من تاريخ صيرة الكفاحي :

لقد شهدت قلعة صيرة معارك حاسمة خاضها الشعب اليماني ضد الغزاة

(٦٥) ابن المجاور، المستبصر ص ١٣١ .

(٦٦) اشار المقدسي الى الموضع ولم يحدده، وقال ما معناه (ان يخرج منه النار. انظر احسن

التفاسيم ص ١٠٢) .

(٦٧) تاريخ عدن ص ٢٧٧ .

(٦٨) ابن المجاور، المستبصر ص ١١٤، وتاريخ عدن ص ٢٨٠، وأساطير ص ١٩ .

(٦٩) ابن المجاور. المستبصر ص ١١٤ .

المستعمرين الذين كانوا يجوبون الشواطئ اليمنية ويعيشون فيها فسادا بدءا بالغزو الروماني في عهد القيصر كلوديوس وانتهاءً بالغزو الاستعماري، فقد حارب المستعمرون الرومان ميناء عدن الرئيسي الذي يقع في سفح القلعة ويمتد من طرف جبل صيرة وحتى معامل تكرير المياه سابقا، اذ ذكر المؤرخ المجهول صاحب كتاب (الطواف حول البحر الازتيري) أن حادثة تخريب الميناء وقعت قبل قدومه الى عدن بزمان قصير، وكان يحكمها آنذاك ذو الاذعار الحميري وابنه شرحبيل، والجدير بالإشارة الى ان هذا الميناء يعد من اهم واشهر الموانئ التجارية في جنوب بلاد العرب، ليس هذا فحسب بل ومن اهم الموانئ الحربية ايضا في البحر الاحمر، وكانت هذه القلعة بمثابة الحارس الأمين له. لهذا فقد انتبه المستعمرون بمختلف نحلهم ومذاهبهم الى اهمية الموقع وضرورة الاستيلاء عليه، وكانوا يشنون الغارة تلو الاخرى على المدينة، غير ان حامية صيرة كانت ترد الصاع صاعين.

في الاعوام ٨٩٢ - ٩٠٩ - ٩١٠ هـ كانت السفن البرتغالية الاستعمارية تجوب الشواطئ اليمنية وفي عام ٩١٩ هـ / ١٥١٣ م هاجم البرتغاليون مدينته عدن وتصدت جماهير الشعب والقوات الطاهرية اليمنية للعدو ووقعت بين الفريقين معركة قتل فيها عدد من الجنود البرتغاليين، وقد تضررت احياء المدينة وتهدمت بعض بيوتها كحافة القطيع، ولكن الجماهير ابلت بلاءً حسناً في المعركة واجبرت الاعداء على الانسحاب، وقد شعر الراهب الفونسو ديلبو كيرك بالهزيمة فامر جنوده بالعودة الى السفن وقد تملكه الغيظ فاحرق السفن اليمنية الراسية على الشاطئ، وأشار المؤرخ بافقيه الشحري في تاريخه المخطوط الى الحادثة في حوادث عام ٩٢٢ هـ وذكر من الشهداء الذين سقطوا في ساحة المعركة (عمر بن موسى المجدي أو المجيدي) وكان ممن ابلى واحسن بلاؤه على حد تعبيره.

لقد اجمعت المصادر التي وقفنا عليها على ان المقاتلين اليمنيين كانوا يمتلكون قدرة فائقة في القتال في هذه المعارك، كما يمتلكون قدرة فائقة في العدة والعتاد، وكانت المدينة محصنة تحصينا قويا بفضل تجهيزات القائد اليمني مرجان الظافري الذي شارك بنفسه في المعارك، ومما يؤكد ذلك ما ذكره ابن الديبع في كتابه الفضل المزيدي من أن الامير مرجان ابرز الحسين الكردي - قائد الجيوش المملوكية - من آلة القتال وعدة الحرب ما بهر، كما كانت المدافع اليمنية تطلق حممها وبكثافة من جبل صيرة مما اجبر الاعداء على الفرار على الرغم من قوة تجهيزاتهم وحدائث أسلحتهم، ولهذا فالمواجهة اليمنية للبرتغاليين لم تكن ضعيفة على نحو ما قال الدكتور محمد عيسى صالحية في مقدمة كتاب الفضل المزيدي لابن الديبع، فقد تمكن هؤلاء المدافعون اليمنيون من

صد هجوم القوات البرتغالية واجبارها على الانسحاب<sup>(٧٠)</sup>.

كان الجراكسة المماليك حينها يجوبون شواطئ اليمن بحجة الحفاظ على المماليك الاسلامية ومد يد العون لقادتها المسلمين، وهي حجة واهية، فقد هاجموا عدن وجرت بينهم وبين سكانها معركة قتل فيها جمع من المماليك وكانت القلعة ترسل عليهم وابلا من حممها الفتاكة، غير أنهم دبروا خطة هي اقرب الى الخدعة العسكرية، فعندما تبين لهم أن جنود القلعة نزلوا الى المدينة للمشاركة في الصراع الدائر في جناباتها، تقدموا الى صيرة في جمع من جنودهم وضربوا المدينة بالمدافع، وكانت مدافعهم كما يقول بافقيه في تاريخه المخطوط «تقع في اطراف البلد مما يلي شمسان» كما رموا السور بمدافع عظيمة فهدم منه جانبا كبيرا.

ويذكر غير واحد من المؤرخين أن عامة الناس كانت تشارك وبفاعلية منقطعة النظر في صد هجمات المماليك، وتتخذ الوسائل الممكنة لصد تقدمهم في المدينة واجبارهم على التقهقر والانسحاب، بحيث كانت تستخدم السهام كما يذكر العبدلي صاحب هدية الزمن.

وظل المستعمرون يجوبون الشواطئ اليمنية متخذين شتى الوسائل والحيل في سبيل الاستيلاء على بلاد الغير، ففي عام ١٢٥١ هـ تذرع المستعمرون البريطانيون بمرور واه الا وهو جنوح السفينة داريا دولت على شاطئ عدن وانتهابها وهي ملك امرأة هندية اسمها بيجم، وتقدم هينس شخصا بهذه الشكوى الى السلطات الرجعية الحاكمة حينذاك في عدن والتي توأطت فيما بعد مع الاستعمار البريطاني وقدمت له المدينة لقمة سائغة غير أن هذه السلطات أنكرت اشتراك رعاياها في نهب السفين، وقد توعدتها هينس وطلب منها اثني عشر الف دولار او اعادة ممتلكات السفينة، فاذعنت السلطات الرجعية لمطالبه واعادت له ما قيمته ثلثي الممتلكات او ما يقارب ٧٨٠٨ ريال على ان تدفع الباقي بعد سنة واحدة، وقد وصف هارولدف يعقوب في كتابه ملوك شبه الجزيرة العربية ممثل هذه السلطة بانه (اعظم مُدمن على نهب حطام السفن، وعلى الاخص في هذا الحادث) والحقيقة التي لا مراء فيها ان المستعمرين لا يتخذون هذه الوسائل والحيل سعيا وراء المال فحسب، بل وحباً في السيطرة على اراضي الغير وامتلاك ناصية التجارة العالمية وتحقيق أهدافهم الاستعمارية في المنطقة، لهذا لم يكتفِ هينس بالمال بل أرسل قواته وعتاده الحديث الى شاطئ عدن وجرت بينه وبين حامية القلعة، معركة غير متكافئة استشهد فيها عدد من المقاتلين اليمنيين في قلب القلعة كما عاث فساداً في الشاطيء وقتل عدداً من

(٧٠) مقدمة كتاب الفضل المزيد ص ٦٦.



الصيادين واستولى بعد ذلك على المدينة، واذعنت له السلطة الرجعية وعقدت معه عدداً من الاتفاقيات المشثومة بمقتضاها تمت السيطرة الفعلية على جنوب الوطن اليمني.

### لجنة اضاءة القلعة :

لقد بات واضحاً مما تقدم ان الاقدمين كانوا يولون اهتماماً لهذا الموضوع، وان صبغت هذه الاهمية بالصيغة الاسطورية . كما يحظى الموضوع اليوم باهتمام المحدثين الذين ادركوا قيمة مآثرنا الحضارية وضرورة الحفاظ عليها والعناية بها بعد ان نالوا حظاً من الحضارة واكتسبوا قسماً من العلم، فقد توافدت البعثات العلمية على اليمن منذ مطلع القرن الثامن عشر الميلادي وحتى اليوم واستقطبت الدولة عدداً من الخبراء والاختصاصيين في هذا المجال لغرض دراسة المعالم التاريخية والاثريّة والتنقيب عن مكامن الآثار ومكتنوناتها في التربة اليمنية، وقام هؤلاء الخبراء بسلسلة من الدراسات والابحاث الاكاديمية شملت عدداً من المآثر والمعالم الحضارية بما في ذلك القلعة، ومن هؤلاء العالم السوفيتي سيرجي شيرنسكي سالف الذكر الذي قام في صيف عام ١٩٧٢م بتحقيق علمي للموقع وخلص الى القول: إنه بالامكان تحويل الجزيرة والقلعة معا الى مكان شيق ومثير على حد تعبيره . ولن يتأتى ذلك كمرحلة أولى الا باعادو اضاءة القلعة بشكل دائم لما في ذلك من اهمية، تضيء على الموقع رونقاً خلاباً وبديعاً .

وقد تشكلت في صيف عام ١٩٦٩م لجنة اطلق عليها لجنة اضاءة قلعة عدن التاريخية عقدت أولى اجتماعاتها في ٦ اكتوبر عام ١٩٦٩م .

